

الفصل الرابع عشر

الإمام محمد بن علي الشوكاني: حياته وفكره

(١١٧٣هـ/١٧٥٩م - ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)

يحيى زكريا علي معاينه

دكتوراه في الحديث الشريف ، أستاذ مساعد في جامعة العلوم الإسلامية العالمية ، الأردن
dyehiaq@yahoo.com

المقدمة :

الفكرية للشوكاني؛ ابتداء من الحضانة العلمية التي نشأ فيها، مروراً بطبيعة العلوم التي تلقاها، وانتهاء بظروف زمانه. نشأ الشوكاني في بيت علم عريق، فوالده من علماء اليمن المشهورين في زمانه ممن كانت لهم جهود في نشر العلم، واشتغل بالتدريس والفتوى والقضاء.^(١) والشوكاني الابن لا يخفي تأثره بوالده وفضله عليه، وهو يذكر محاسنه وصفاته، فهو يشير بوضوح إلى رعايته الحثيثة له في تحصيل العلم فيقول: "ولقد بلغ معي إلى حد من البر والشفقة والإعانة على طلب العلم والقيام بما أحتاج إليه مبلغاً عظيماً بحيث لم يكن لي شغلة بغير الطلب، فجزاه الله خيراً وكافاه بالحسن".^(٢)

ولم تكن جهود والده الحثيثة لتؤتي ثمارها دون وجود محفزات ذاتية في الشوكاني، فذكاؤه الفطري^(٣) وذاتيته^(٤) في طلب العلم تضافرت منذ اللحظة الأولى لوعيه، فالابن يحاور أباه ويسأل ويدقق، ووالده يعطي مساحة من الحرية في التفكير المقرون بتوجيهات منهجية، يصاحب ذلك توجه إلى الله في تحصيل العلم وفتح الأفهام. يقول الشوكاني عن بداية طلبه العلم: "فكان أول بحث طالعته بحث كون الفرجين من أعضاء الوضوء في الأزهار وشرحه، فلما طالعت هذا البحث قبل الحضور عند الشيخ رأيت اختلاف الأقوال فيه! فسألت والدي عن تلك الأقوال، أيها يكون العمل عليه؟ فقال: يكون العمل على ما في الأزهار، فقلت: صاحب الأزهار أكثر علماً من هؤلاء؟ قال: لا. قلت: فكيف كان اتباع قوله دون أقوالهم لازماً؟ فقال: اصنع

يعد الإمام الشوكاني^(٥) أحد أعلام التاريخ الإسلامي، ممن تركوا بصمات واضحة في التحولات الفكرية في القرن الثالث عشر للهجرة. وظهرت إرهاصات النهضة في شخصية الشوكاني في مراحل وعيه الأولى، واكمل نضوجه العلمي الموسوعي في العقد الثالث من عمره، وحاز منزلة علمية مرموقة بما تركه من تراث فكري وعلمي هائل؛ تأصيلاً وتحريراً زاد على مائتين وثلاثين مؤلفاً، وترك تجربة إصلاحية رائدة، خاض غمارها في محاولته لفهم واقع الأمة والنهوض بها؛ فحارب التقليد والتعصب المذهبي ودعا لفتح باب الاجتهاد ووحدة الأمة، وتصدى للأفكار الشاذة التي تبنتها الفرق الإسلامية؛ فبتجرده العلمي وذاتيته خرج من بوتقة المذهبية، ودعا إلى العودة للكتاب والسنة، وجدد في منهجية الفقه الإسلامي، وخاض بنفسه الإصلاح السياسي والاجتماعي، وكان له دور واضح في الحالة اليمنية آنذاك، وتعدى تأثيره الفكري حدود اليمن إلى بلاد الجزيرة العربية ومصر وصولاً إلى الهند، ومازال تراثه الفكري والعلمي حاضراً في الدراسات المعاصرة والدراسات التخصصية والمتقدمة بقوة، خاصة في الجانب الفقهي.

أولاً: حياته العلمية والعملية

ولد أبو علي محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني في هجرة شوكان، وهي قرية صغيرة جنوب (شوكان). واستقر قريباً منها في صنعاء بمعية أسرته إلى وفاته،^(٦) وساهمت مؤثرات متعددة في تكوين الشخصية

عدة، بل أخذوا عنه في فنون دقيقة لم يقرأ في شيء منها كعلم الحكمة التي منها علم الرياضي والطبيعي والإلهي، وكعلم الهيئة وعلم المناظر وعلم الوضع".^(١٠)

لم يقتصر الشوكاني على المصادر العلمية التي توفرها البيئة العلمية للمذهب الزيدي آنذاك، بل كان حريصاً على دراسة المؤلفات المشهورة في المدارس الفقهية الأخرى، ويظهر جلياً في كتاباته أنه واسع الاطلاع على مذاهب الأئمة المشهورين، وقد أخذ جل هذه الكتب عن مشايخه،^(١١) وهذا وفر له تنوعاً فكرياً مكثه من أن يحلل ويرجح ويضيف ويستدرك ويمرر في مختلف العلوم، حتى عرف بها جميعاً. يقول محمد محيسن: "وهو من حفاظ القرآن، ومن خيرة العلماء المجتهدين المؤلفين: وهو مفسر، محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، متكلم، حكيم".^(١٢)

أما الخاضعة العلمية المتمثلة بالدولة، فيمكن استنتاج أن الحالة السياسية عبر عشرات السنين كان لها دورٌ مهمٌ في تشكيل البيئة العلمية في صنعاء، وكانت ضمن المؤثرات التي أسهمت في التكوين الفكري للشوكاني، فهي نتيجة طبيعية لظهور مشروع الدولة الزيدية القاسمية إبان خروج اليمين من نفوذ الدولة العثمانية عام ١٠٤٥هـ. وهذا المشروع يؤسس للخلافة في ضوء الفكر الزيدي، وعماده العلماء، ضمن مشروع يصارع ليبقى صامداً أمام شراسة الدولة العثمانية من جهة، والتمرد القبلي من جهة أخرى، وهذا أعطى مساحة حرة من التفكير، وأوجد بيئة علمية مزدهرة في كافة المستويات، وتلاحماً بين السلطة والعلماء، أدى إلى ظهور جديّة في طلب العلم، يقول الشوكاني واصفاً العلماء آنذاك: "كباراً ناصرُوا الأئمة ولاسيما في حروب الأتراك فإن لهم في ذلك اليد البيضاء، وكان فيهم إذ ذاك علماء وفضلاء يعرفون في سائر البلاد الخولانية بالقضاة، وكانوا يتفرقون في القبائل ويدعونهم إلى الجهاد ويحثونهم على حرب الأتراك".^(١٣)

مرّ الشوكاني بمراحل مفصلية في حياته ميّزته عن غيره من المجتهدين، فهو المدرس والمفتي والقاضي والسياسي، بل جمعها معاً في آخر حياته، فقد اشتغل في التدريس في سن

كما يصنع الناس، فإذا فتح الله عليك فستعرف ما يؤخذ به وما يترك، قال الشوكاني: فسألت الله عند ذلك أن يفتح عليّ من معارفه ما يتميز لي به الراجح من المرجوح.^(١٤) لقد طالبت صحبته لوالده؛ معلمه الأول، بعد سن التمييز، قرابة ثلاثين سنة إلى أن توفي والده عام ١٢١١هـ، ولم تغب الجلسات العلمية طوال تلك السنوات بينهما، فعالباً يكون التلميذ بين يدي والده ومرة يكون المعلم، يقول الشوكاني: "وقرأت عليه رحمه الله في أيام الصغر في شرح الأزهار وشرح الناظري مع غيري من الطلبة، وهو في آخر أيامه قرأ عليّ في صحيح البخاري".^(١٥)

لقد وفرت البيئة العلمية في بلده صنعاء تنوعاً هاماً وأساساً متيناً في التنشئة العلمية للشوكاني؛ إذ درس فيها جل العلوم التي حازها. يقول الشوكاني عن البيئة العلمية آنذاك: "وهذه الهجرة - هجرة شوكان - معمورة بأهل الفضل والصلاح والدين من قديم الأزمان، لا يخلو وجود عالم منهم في كل زمن، ولكنه يكون تارة في بعض البطون وتارة في بطن أخرى، ولهم عند سلف الأئمة جلاله عظيمة".^(١٦)

لكن الرغبة الذاتية للشوكاني جعلت له مطالعات ذاتية في علوم عدة كالأدب والتاريخ، وحفظ عدة مختصرات قبل شروعه في تلقي العلم على والده ومشايخه وبعدها، وهذا مكن له أن يتمم ما فاتته من علوم في حاضرة صنعاء آنذاك، فلم يدخل الحلقات العلمية إلا وقد تمكن من أساسيات العلوم. يحدث الشوكاني عن نفسه في ترجمته فيقول: "وكان حفظه لهذه المختصرات قبل الشروع في الطلب وبعضها بعد ذلك، ثم قبل شروعه في الطلب، كان كثير الاشتغال بمطالعة كتب التواريخ ومجاميع الأدب من أيام كونه في المكتب، فطالع كتباً عدة ومجاميع كثيرة، ثم شرع في الطلب وقرأ على والده".^(١٧)

إن الرغبة في طلب العلم عند الشوكاني لم تقف عند تلقي الكتب والمصنفات من طريق العلماء، بل أخذ على نفسه الاستزادة في تحصيل ما تيسر من العلوم من خلال كتبها، ليكون أستاذاً بعد ذلك. يقول الشوكاني عن نفسه في هذا السياق: "وأخذ عنه الطلبة كتباً غير الكتب المتقدمة مما لا طريق له فيها إلا الإجارة، وهي كثيرة جداً في فنون

المنتقى ففعل، ثم إلى اختصاره من عشرين مجلداً إلى أربع ليكون كتاب نيل الأوطار.^(١٨)

- أحمد بن محمد بن الحرزلي، وبه انتفع في الفقه، وعليه تخرج، وطالت ملازمته له نحو ثلاث عشرة سنة.^(١٩)

- الحسن بن إسماعيل المغربي، الذي نعى فيه الجانب الروحي والزهد،^(٢٠) لكن يبدو أن طريقته في التدريس قد راقت للشوكاني، فقد كانت تميزه عن غيره، فكان يحيل المسائل على تلامذته. ويذكر في شيخه تجرده عن نفسه في طلب العلم فيما استعصى عليه من مسائل، يقول الشوكاني: والحاصل أنه من العلماء الذين إذا رأيتهم ذكرت الله عز وجل، وكل شؤونه جارية على نمط السلف الصالح، وكان إذا سأله سائل أحاله في الجواب على أحد تلامذته، وإذا أشكل عليه شيء في الدرس أو فيما يتعلق بالعمل سأل عنه غير مبالٍ، سواء كان المسؤول عنه خفياً أو جلياً، لأنه جبل على التواضع.^(٢١)

- عبد الله بن إسماعيل بن حسن بن هادئ النهمي: ويرى الشريحي أن أثره في أن الشوكاني هُل من المهارات التربوية التي أهّله للتدريس الجيد، والكثير من أخلاقيات التعليم،^(٢٢) وقد ترجم الشوكاني لشيخه فقال: "وله عناية تامة بتخريج الطلبة والمواظبة على التدريس وتوسيع الأخذ وجلب الفوائد إليهم بكل ممكن، ولا يمل حتى يمل الطالب".^(٢٣)

لم تكن ذاتية الشوكاني وحدها لتحدد طبيعة تكوينه الفكري واتجاهات التأليف، لكنها كانت ضمانة التجرد من قيود التقليد المذهبي في زمن انتشرت فيه الصراعات والتجاذبات المذهبية، ليجد نفسه متمسكاً بأصل الدين لا بالتراث الفكري الذي حلّ مكان نصوص الوحي، لقد ساهمت مؤثرات كثيرة في تكوينه الفكري منها:

١. نشأته في ظلال المذهب الزيدي الذي لا يعترف بغلق باب الاجتهاد.^(٢٤)

فالشوكاني يشير إلى مزايا المذهب الزيدي، لكنه ينتقد ما آل إليه الأمر من تعصب فيه فيقول: "لأن الزيدية مع

مبكرة، فكان يتعلم ويدرس في آن واحد. ويشير الشوكاني إلى أن شخصيته الفكرية نضجت قبل بلوغه الثلاثين من عمره؛ إذ استقل عن التبعية لمذهب أو تقليد. ويشير إلى أن معظم التصانيف قد أنجزها قبل الأربعين: "وقد كان جميع ما تقدم من القراءة على شيوخه في تلك الفنون وقراءة تلامذته لها عليه مع غيرها، وتصنيف بعض ما تقدم، لعل تحريره قبل أن يبلغ صاحب الترجمة أربعين سنة، بل درس في شرحه للمنتقى قبل ذلك وترك التقليد واجتهد رأيه اجتهاداً مطلقاً غير مقيد وهو قبل الثلاثين".^(٢٥)

واشتغل الشوكاني وتفرغ للفتيا في سن مبكرة من عمره، "وشيوخه إذ ذاك أحياء، وكادت الفتيا تدور عليه من عوام الناس وخاصتهم، واستمر يفتي من نحو العشرين من عمره فما بعد ذلك... وكان دخوله في القضاء وهو ما بين الثلاثين والأربعين"^(٢٥) حتى وفاته.

أما السياسة فقد خاض غمارها بمجرد قبوله القضاء، واستمر قرابة أربعين سنة إلى وفاته، بل اضطلع الشوكاني بأمور سياسية كان لها أثر مباشر وغير مباشر في أحداث عصره، ولم يسلم السياسيون ممن تقلدوا زمام الأمور في زمانه من النقد، وباشر بنفسه المشاركة في الحملات لإخاد الفتنة الداخلية،^(٢٦) وقد ألمح الشوكاني إلى العديد من هذه الأحداث، وأهمها على الصعيد الداخلي ما حدث سنة ١٢٢٤هـ بمباركته تولي الإمام المتوكل على الله أحمد بن الإمام المنصور زمام الحكم من والده بالقوة، فكان أول من بايعه وتولى قبض البيعة له من إخوته وأعمامه وسائر آل الإمام القاسم وأعيان العلماء والرؤساء.^(٢٧)

ثانياً: تكوينه الفكري

كان تنوع شيوخ الشوكاني بمثابة جامعة فكرية ونفسية ساهمت في بناء شخصيته في جوانب متعددة، فبالإضافة إلى والده الذي سبق ذكر تأثيره، يمكن التعرف على شيوخه من خلال وقوف الشوكاني الطويل على سيرهم في أثناء ترجمته لهم، ولا يقتصر على ذلك، بل يذكر تأثيرهم فيه، وكان من أبرز شيوخه:

- عبد القادر بن أحمد الكوكباني الذي أخذ عنه جل علومه، وقد وجهه لأن يشرع في تأليف شرح على

في الفروع فكان هو الغالب فيها"،^(٢٠) لكن هذا الحكم إلزامي يحتاج إلى إثبات، لأن منطلقات التجديد التي عرفها التاريخ الإسلامي، وأبرزت مدارس إصلاحية خرجت بمخرجات متقاربة في الأصول، وأبرزت نتائج متقاربة نسبياً في الفروع، حتى تلك التي خرجت من فرق إسلامية، تعد بعيدة نسبياً عن المذاهب المقبولة، وهذا لا يعني نظرياً إلزامه التأثير بمدرسة ما. وما يؤكد استقلالية الشوكاني وإبداعه وكونه مجتهداً مطلقاً: مخالفته لابن حزم وابن تيمية في مسائل ليست يسيرة، ومع أنه لم يستطع التحرر الكامل من المسائل الجزئية في المذهب الزيدي، مثل قضايا الإمامة، إلا أن تأكيده على كليات الإسلام هو الذي جعله في عداد المجددين في التاريخ الإسلامي.

٣. شهود الشوكاني أحداثاً سياسية جسيمة على الصعيد الداخلي والخارجي. فقد عانت الأمة الإسلامية غزواً فكرياً وعسكرياً، وكانت الحملة الفرنسية على مصر من أبرز هذه الأحداث،^(٢١) وقد تذبذبت علاقة الدولة الزيدية مع الدولة العثمانية، فخرجت من قبضة الدولة العثمانية، وكانت معرضة في أي لحظة لسلطوتها، وأحياناً أخرى شهدت حالة تصالح.^(٢٢) أما على الصعيد الداخلي فقد عاشت الدولة اليمنية اضطرابات داخلية وصراعاً على السلطة.^(٢٣)

أما الحالة الفكرية والدينية، فقد عانت الأمة آنذاك من تعصب مذهبي وجهل وانتشار للبدع والخرافات، وظهرت مشكلات اجتماعية واقتصادية كادت تعصف بالدولة الزيدية آنذاك.^(٢٤)

لقد كان للواقع الذي عايشه الشوكاني أثر واضح في تكوينه الفكري، ومن ثم في نوع نتاجاته العلمية واتجاهاتها وأولوياتها، وتحديد نوعية ما فاته من تأليف، وأن يكون له جهد إصلاحي يتعامل مع الواقع لضمان تماسك الدولة والمجتمع ومحاولة النهوض بالأمة. ثالثاً: جهود الفكرية

يعد النتاج الفكري للشوكاني غزيراً إذا ما قورن بغيره ممن عاش مدة عمره التي بلغت ستاً وسبعين سنة؛ إذ تزخر المكتبة الإسلامية بأكثر من (٢٨٧) مصنفاً جُلها ما زال

كثرة فضلائهم ووجود أعيان منهم في كل مكرمة على تعاقب الأعصار، لهم عناية كاملة ورغبة وافرة في دفن محاسن أكابرهم، وطمس آثار مفاخرهم، فلا يرفعون إلى ما يصدر عن أعيانهم من نظم أو نثر أو تصنيف رأساً، وهذا مع توفر رغبتهم إلى الاطلاع على ما يصدر من غيرهم والاشتغال الكامل بمعرفة أحوال سائر الطوائف والإكباب على كتبهم التاريخية وغيرها.^(٢٥)

٢. يعد الشوكاني امتداداً لسلسلة من المصلحين الذين عرفهم التاريخ الإسلامي ومرت بها الحالة اليمنية على وجه الخصوص. فالشوكاني إذ يتبنى فكراً إصلاحياً، يقر بأنه ليس بدعة في التاريخ الإسلامي، فإنه يبدي إعجابه بشخصيات كثيرة كان لها دورها في محاربة التقليد والجهل، ومحاولة الإصلاح في اليمن، منهم: محمد بن إبراهيم الوزير، ومحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، والحسن بن مهدي المقبل، والحسين أحمد الجلال،^(٢٦) بل يقدر الجهود الإصلاحية خارج الإطار الزماني والمكاني والمذهبي، فيبدي ثنائه لكل من حمل لواء الإصلاح وترك التقليد من الأئمة، مثل الإمام مالك وأحمد والبخاري وابن تيمية وابن حزم الظاهري^(٢٧) ومحمد بن عبد الوهاب.^(٢٨)

لكن يبدو أن الشوكاني كان متأثراً على وجه الخصوص بابن تيمية وابن حزم؛ يقول الشوكاني في ابن تيمية وابن حزم: "أنا لا أعلم بعد ابن حزم مثله وما أظنه سمح الزمان ما بين عصر الرجلين بمن شابههما أو يقارهما." ومع أن كليهما من مدرستين مختلفتين إلا أنه استطاع بذهنيته التوفيقية أن يستفيد منهما معاً، ويضفي طابعاً خاصاً يؤكد قدرته العالية بأن يكون مجتهداً مستقلاً عنهما وفق ما تمليه عليه ملكته النقدية، فيوافق مرة ويخالف أخرى. يقول الصعدي في هذا السياق: "وقد جمع في هذا بين ابن تيمية وابن حزم مع ما كان بينهما من الخلاف في المذهب، لأنهما كانا متفقين في الثورة على التقليد في الفروع".^(٢٩)

لكن الصعدي يرى أن الشوكاني قد تأثر كثيراً بابن تيمية: "لأنه أقرب إلى مذهب السلف من ابن حزم، ولا يفرق بينه وبين ابن تيمية، إلا أنه نشأ على مذهب الزيدية

تظهر من العنوان الذي اختاره، وهو أنه لا تعارض بين علم الرواية وعلم الدراية كما تبديه بعض التفاسير، بل ألزم نفسه الجمع بينهما، وكلا الفريقين قد أصاب وأطال وأطاب.^(٣٦) والتفسير يحتوي على فوائد جلية، فهو يشتمل على المناسبات بين الآيات، ويحكمم إلى اللغة كثيراً، وينقل عن أئمتها كالمرد وأبي عبيدة والفراء ويتعرض أحياناً للقراءات السبع، ولا يفوته أن يعرض لمذاهب العلماء الفقهية في كل مناسبة، ويذكر اختلافاتهم وأدلتهم.^(٣٧)

٢- نبيل الأوطار:

إذا كان فتح القدير قد فسر به الشوكاني القرآن الكريم، فإنه طمح في هذا الكتاب أن يخدم السنة النبوية، فقام بشرح كتاب: (منتقى الأخبار) كونه أهم الكتب التي جمعت السنة على أبواب الفقه،^(٣٨) وأن يضعه بين يدي طلبة العلم، وقد حرص فيه على تحرير النزاع الفقهي والترجيح، وأضاف إليه فوائد جلية في اللغة والحديث، وجمع فيها أقوال المذاهب المشهورة، ودعا إلى اتباع الدليل وترك التعصب المذهبي،^(٣٩) وأخرج به بطريقة تدريجية يعين فيها طالب العلم على إدراك صورة الخلاف وبناء ملكة فقهية نقدية. وقد وضع في هذا الكتاب رؤيته الإصلاحية نحو توحيد الأمة وترك التقليد والتعصب المذهبي والعودة إلى الكتاب والسنة، لا إلى تقديس التراث الفقهي بعيداً عن الدليل.

٣- كتابا: (إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول) و(السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار):

يُعدّ الكتابان من أهم كتب الإمام الشوكاني، وقد حظيا باهتمام بالغ في الدراسات المعاصرة في التعليم الجامعي، ولهما ميزة على غيرهما من الكتب، فقد حرهما بعد نضوجه الفكري والعلمي، ومن ثم فقد أثر ذلك في طبيعة التأليف،^(٤٠) وقد أودع الشوكاني فيهما منهجه في التجديد الفكري الذي يقوم على تحريم التقليد وتحقيق علم أصول الفقه، وتجديد منهجية الدراسات الفقهية، والتأسيس لقضية الانفتاح على المذاهب الفقهية الأخرى.^(٤١)

٤- أدب الطلب ومنتهى الأدب:

يعد هذا الكتاب أحد أهم كتب الشوكاني، ففيه يفصح عن شخصيته الموسوعية، لأنه نابع من خلاصة تجربته

مخطوطاً، والمطبوع منها يربو على الأربعين،^(٤٢) وإذا كان الشوكاني صاحب مشروع إصلاحية فوضوي يسعى إلى توحيد الأمة وعلاج مشكلاتها، فإن منطلقات التأليف كانت -بالنظر إلى المشكلات التي يعيها المجتمع آنذاك، ومن ثم محاولة علاجها- محاولة منه لتصحيح المفاهيم وبناء الحلول في جوانب مختلفة من العقيدة والفقه والتعليم والسياسة.

ويمثل التراث الكتابي بالضرورة النتاج الفكري للمؤلف ما لم يكن منحولاً أو مكذوباً عليه، وبالتالي فلا بد من أن تكون هذه التأليف متوافقة منطقياً فيما بينها، مع مراعاة احتمال أن تتضمن بعض الأفكار أو تتغير خارطتها المفاهيمية عند المؤلف وتأثره بالظروف التي يعايشها. ويتضمن النتاج الفكري للمؤلف عادة فلسفته التي انطلق منها، ومن ثم نظراته الفلسفية للواقع من حيث المشكلات والحلول. وقد تضمنت كتابات الشوكاني وصفاً تجريبياً لتطبيق الفلسفة على الواقع الذي عاصره، لأنه كان في موضع التنفيذ وهو يمارس أعمال السياسة، أو لنقل إدارة الفلسفة، وبالتالي منحتة فرصة اختبار هذه الفلسفات، ومنحتة الأحداث تغذية راجعة لا ينكر أثرها في طبيعة التأليف فيما تأخر من إنتاج كتابي، ولذلك يمكن القول إن الشوكاني لم يعيش ظاهرة الموت السريي للعلماء، لأنه عاش مرحلة التنظير والتطبيق معاً.

لقد تنوعت مؤلفات الشوكاني في موضوعات كثيرة، كانت بمثابة موسوعة شاملة لمجمل النواحي المعرفية وحظيت هذه المصنفات باهتمام بالغ، واحتلت مكانة مهمة في الدراسات التخصصية في التدريس الجامعي، ومن هذه المؤلفات:

١- كتاب فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:

نشط الشوكاني في التفسير، فهو يرى فيه أهمية بالغة لشرف هذا العلم؛ فهو يتناول المصدر الأول من مصادر المعرفة الإسلامية، ولم تغب رسالته الإصلاحية في ثنانيا التفسير وهو يبين العقيدة الصحيحة ويتحدث عن التقليد ويحرر المسائل الفقهية في سياق الآيات بعيداً عن التعصب والتقليد. والشوكاني يؤسس في هذا الكتاب لقضية مهمة

القياس، فهو يقيس الأفكار الصائبة والخطأ في مجتمعه. ويرى الشوكاني أن المحدثين وغيرهم لم يعطوا الحديث عناية كبيرة، ويرى أن الحديث احتوى على معاني جليلة لم تُعطَ حقها من العناية. وهذا الكتاب يؤكد أن الشوكاني يحمل فكراً إصلاحياً محدداً وشاملاً، فلم يعزل كتابه هذا عن الفكر الإصلاححي الذي ينادي به، فقد تناول فيه قضية الاجتهاد والتقليد وبيّن علاقة الولاية بالعلم، وتناقض المقلد مع نفسه، ورد على الشبهات السائدة عن الولاية التي كانت جزءاً من مشكلات عصره، وتحدث عن الولاية ومعرفة الغيب والكرامات وبيّن ضوابطها، ورد على غلاة الصوفية من الاتحادية وغيرهم، وحلّل الأمور النفسية المتعلقة بالولاية كالتواضع وغيرها، وتحدث عن الخيل والوساوس الشيطانية، وهو يفرق بين ما هو ظاهرة مرضية وما هو ولاية حقيقية.

رابعا: جهوده الإصلاحية

ظهرت إرهابات النهضة في شخصية الشوكاني في مراحل وعيه الأولى،^(٤٧) وترك الشوكاني تجربة إصلاحية رائده خاض غمارها في محاولته لفهم واقع الأمة والنهوض بها، وانبثقت الآراء الإصلاحية عند الشوكاني من وحي الواقع الذي عايشه، من خلال اشتغاله بالإفتاء والقضاء والسياسة والتدريس، ويمكن إجمالها على النحو الآتي:

١- الدعوة للتجديد الفقهي القائم على ترك التقليد وفتح باب الاجتهاد والعودة إلى الكتاب والسنة. فإذا كان الهدف الأسمى للعلم إقامة الشريعة الإسلامية في مفاصل الحياة، فإن التجديد الفقهي احتل عند الشوكاني مساحة كبيرة من مشروعه الإصلاححي، فهو يرى أن التراث الفقهي قد حل مكان نصوص الوحي بداعي التقليد، فكانت دعوته للعودة إلى الكتاب والسنة وترك التقليد إحدى أهم معالم مشروعه النهضوي. يقول الشوكاني: "ومن حصر فضل الله على بعض خلقه، وقصر فهم هذه الشريعة المطهرة على من تقدم عصره، فقد تجرأ على الله عز وجل! ثم على شريعته الموضوعة لكل عباده!... ثم قال: فإن هذه المقالة تستلزم رفع التعبد بالكتاب والسنة، وإنه لم يبق إلا تقليد الرجال الذين هم

العلمية الثرية،^(٤٨) والأهم هو بيان نظرته الإصلاحية للتعليم، فقد بيّن في هذا الكتاب أهمية العلم ووظيفة المعلم وماهية العلوم ومستوياتها، وأهمية كل منها في الطلب، وبيّن مراجع كل علم، وتحدث فيه عن الطبيعة الإنسانية وآداب العلم.^(٤٩)

٥- الدواء العاجل في دفع العدو الصائل:^(٤٤)

تضمن هذا الكتاب تشخيص الشوكاني لواقعه المعاصر من الناحية السياسية والاقتصادية التي عاشها اليمن آنذاك، وبين فيه الأسباب والحلول، وبيّن دور العلماء والدولة في حل المشكلات، وأن دور الدولة هي الرعاية وإقامة الدين وليس جمع الأموال من الناس، ودعا فيه إلى نشر التعليم والإصلاح القضائي والإداري.

٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع:

مع أن هذا الكتاب يصنف ضمن كتب التاريخ، فإن الشوكاني أخضع أغراضه لمشروعه الإصلاححي، فالسبب الرئيسي لكتابة هذا الكتاب هو محاولة إحياء الهمة في الأمة، وفك الارتباط مع الذهنية المقلدة التي طمست معالم الخير في زمانهم، ومن ثم كرس التقليد والتعصب المذهبي، يقول الشوكاني: "وبعد فإنه لما شاع على ألسن جماعة من الرعايا اختصاص سلف هذه الأمة بإحراز فضيلة السبق في العلوم دون خلفها، حتى اشتهر عن جماعة من أهل المذاهب الأربعة تعذر وجود مجتهد بعد المائة السادسة كما نقل عن البعض أو بعد المائة السابعة... بدون برهان ولا قرآن، على أن هذه المقالة المخدولة والحكاية المزدولة تستلزم خلو هذه الأعصار المتأخرة عن قائم بحجج الله وترجم عن كتابه وسنة رسوله ومبين لما شرعه لعباده وذلك هو ضياع"^(٥٠) والشوكاني بذلك جدد في منهجية كتابة التاريخ، ليكون بمثابة مدرسة لمن يقرأ فيه، فهو لم يكتفِ بسرد الأحداث، بل ضمّن تراجمه لأعيان عصره تحليلاً للمواقف السياسية والاجتماعية وأحياناً النفسية، وهذا لا يخلو من فوائد متعددة.

٧- قطر الولي على حديث الولي:^(٤٦)

وتبرز في هذا الكتاب الشخصية العلمية الشمولية للشوكاني، فهو يضيء في كتابه هذا أعلام التزكية الذين توغلوا في أعماق النفس البشرية، بل أضاف ميزة في منهجية الكتابة وهو يؤسس لهذا النوع من التأليف المبني على

لآراء المذاهب وأدلتها، ودراسة مؤلفات أهل الإنصاف، الذين لا يتعصبون لمذهب من المذاهب، ولا يقصدون إلا تقرير الحق".^(٥٨)

خامساً: ملامح المشروع الإصلاحي عند الشوكاني يمكن القول إن اغتراف الشوكاني في القضاء كان البداية العملية لمشروع الإصلاح؛ إذ ساهم في تدقيق تفاصيله مباشرته العملية لشؤون الدولة والمجتمع، ويظهر من كتاباته أن النهوض بالأمة كان هاجساً دائماً لديه، وبالتالي فإن ملامح المشروع النهضوي كانت بناء على نظرة متجذرة في واقع المجتمع والأمة، وإن تأثرت حيثياته في الإطار الزمني، الذي ظهر تبعاً في مؤلفاته فهو لم يأت دفعة واحدة. ويمكن استخلاص ملامح المشروع الإصلاحي النهضوي في تجربة الشوكاني من خلال كتاباته التي وثق بها فلسفته وتجربته الفعلية في الإصلاح في ثلاثة محاور:

١. النهضة بالتربية والتعليم:

يرى الشوكاني أن ضعف الأمة وما حل بها من مشكلات سياسية واجتماعية واقتصادية ما هو إلا بسبب البعد عن الله، ويؤكد أن وظيفة العلماء إصلاح الرعايا ونصيحة الراعي. وينادي الشوكاني بضرورة وجود المعلم الصالح في كل قرية،^(٥٩) فالشوكاني يرى أن التعليم عماد أي مشروع إصلاحي وجزءاً لا يتجزأ من عوامل صلاح المجتمع والنهوض بالدولة.

ويمكن ملاحظة دعوة الشوكاني لإصلاح التعليم في عدة مؤلفات، لكن الإطار النظري لإصلاح التعليم ضمه في كتابه (أدب الطلب)، ففيه وضع مسائل مهمة في أدبيات العلم، وضمه خطة لطالب العلم في أنواع مختلفة ومستويات متعددة، ووضع لكل منها مناهج ومقررات.^(٦٠) لقد لقي إصلاح التعليم عند الشوكاني اهتماماً بالغاً في مشروعه الإصلاحي فالتعليم يحتوي على كافة العلوم الدينية والدنيوية التي تهض بالأمة، وأهمها على الإطلاق العقيدة، ولذلك حرص على استعراض مفرداتها ومعالجة قضاياها، فبين مقدمات مهمة في العقيدة، كالاستدلال على وجود الله، وحذر من البدع وكشف بطلانها، ودعا إلى تطهير العقيدة من صور الشرك

متعبدون بالكتاب والسنة، كتعبد من جاء بعدهم على حد سواء".^(٤٨)

٢- الدعوة للتوفيق بين المذاهب الإسلامية:

الاختلاف بين المذاهب لا يعني بالضرورة وجود تناقض حقيقي في هذه الأفكار، فقد يكون الاختلاف في زاوية النظر. ويرى إبراهيم السكران أن الموجّهات المركزية لعلامة اليمن في منجزه الفكري تدور حول الذهنية التوفيقية، فالآليات الداخلية التي كان يستعملها الشوكاني في مشروعاته العلمية كانت تميل إلى التوفيق بين المدارس المشهورة في تلك العلوم، وإقامة المصالحة بين العناصر المتضادة، وإزالة «وهم» التضاد، ويمكن ملاحظة هذا المنهج في كثير من مناقشاته والأفكار، ثم لا بد أن تجري كتاباته وفق موجّهات داخلية تخدم هذه المنطلقات.^(٤٩)

٣- التصدي للمعتقدات الخاطئة والفقه الشاذ مما رسخته المذاهب والفرق الإسلامية، ويمكن ملاحظة ذلك جلياً من خلال:

- المناقشات العلمية التي كان يجريها في كتاباته داخل المذهب الزيدي، فقد خالف الفقه الزيدي في عدة مسائل، فيرى وجوب غسل الرجلين،^(٥٠) وبطلان صيغة الأذان: "حي على خير العمل"،^(٥١) وبحث طويلاً مسائل العقل والتأويل والعقيدة عن الزيدية،^(٥٢) ورد على من شذ من المذهب الزيدي في مسألة عدالة الصحابة، وبيّن مقتضياتها.^(٥٣)

- ناقش المعتزلة في العقيدة في مسألة خلق أفعال العباد والأسماء والصفات، وغيرها من المسائل،^(٥٤) وردّ على غلاة الصوفية في قضايا الحلول والاتحاد، وغيرها من المسائل،^(٥٥) ونقض مبادئ الباطنية.^(٥٦)

٤- الدعوة إلى الانفتاح على التراث الفقهي للأمة، ومحاربة التعصب المذهبي، لأنه يحمي الجمود الفكري ويحرس كثيراً من عوامل تراجع الأمة وتمزقها.^(٥٧)

فالشوكاني لا يرى في ترك التقليد ما يكفي لإعادة الحيوية لنصوص الوحي، وإدراك معانيه دون "الانفتاح على التراث الفقهي، والاطلاع على كتب المحققين الجامعة

يرى الشوكاني أن الإمامة فرض واجب؛^(٦٥) لأن تحقيق مقاصد الشريعة لا يكون إلا بها، وأن أدائها الحاكم والقاضي والعالم، فيقول: "والحاصل أن هذه الشريعة المطهرة من عرفها حق معرفتها وجدها مبنية على جلب مصالح ودفع مفاسد... فالعالم والسلطان العادل والقاضي الفاضل ينبغي لكل واحد منهم أن يكون تشييد هذا الأصل من أعظم ما يصحح إليه نظره".^(٦٦) وهو بذلك يؤكد أنه لا انفصام بين الدين والدولة، وأن الدولة إنما هي أداة لتطبيق الشريعة بكل ما فيها.

لقد أدرك الشوكاني أهمية العمل السياسي في إصلاح المجتمع والأمة بعدما جرّب بنفسه أثر ذلك، ويؤكد أهمية مشاركة أهل العلم في العمل السياسي، فيقول: "ولا يخفى على ذي عقل أنه لو امتنع أهل العلم والفضل والدين عن مداخله الملوك، لتعطلت الشريعة المطهرة، لعدم وجود من يقوم بها، وتبدلت المملكة الإسلامية بالمملكة الجاهلية في الأحكام الشرعية"،^(٦٧) لقد جلى الشوكاني نظرية حول المشاركة في السلطة، ووضع ضوابط تضمن نجاح مشاركة العلماء في السلطة، ضمّنها كتابه: (رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلطين)، وبهذا تكون له ميزة على غيره من المجددين الذين لم يتعرضوا أصلاً لهذا الموضوع.

والشوكاني في رؤيته الإصلاحية الشاملة يبيّن مسؤولية الدولة تجاه جوانب الحياة المختلفة، وإذ يؤمن أن النهضة بالتربية والتعليم هي واجب العلماء، فإنه يشير إلى أن وظيفة الدولة تقوم على إدارة الرعاية التربوية، فلا يجوز للدولة أن تقتصر في عملها على جباية الضرائب من الناس،^(٦٨) ويؤكد أهمية الدولة في الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي، وركز على أهمية القضاء في إقامة العدل وصلاح الدولة، وأن هذا

لن يكون دون إصلاح القضاء ضمن رؤية شمولية.^(٦٩)

٣. النهضة بوحدة الأمة الإسلامية:

إن الناظر في التراث الفقهي لدى المتقدمين يجد ندرة الكتابة في الفلسفة السياسية فيما يتعلق بعلاقة الدوليات الإسلامية بالأمة المسلمة، فما يميز الشوكاني عن غيره تعرضه لوحدة الأمة الإسلامية، ويظهر ذلك من خلال الحديث عن بعض الأحداث السياسية والأحكام الفقهية

الكثيرة المنتشرة.^(٦١) لقد بذل الشوكاني جهوداً في تجلية جوانب نظرية تربوية يبيّن فيها صفات المربين وآداب العالم والمتعلم ضمّنها في كتابه.^(٦٢)

إن ما يميز الشوكاني في مشروعه الإصلاحي إدراكه الفجوة العميقة بين العلوم الفقهية والطبيعية، فهو يدرك تماماً أن الدنيا لا تصلح دون حيازة علوم الشريعة والطبيعة معاً. لقد اكتشف الشوكاني هذه الفجوة في التعليم السائد آنذاك، فحرص أن يصوّبها بنفسه، فقرر أن يجمع هذه العلوم من خلال دراسة ذاتية لهذه الكتب، ومن ثم وضع كتباً في هذه العلوم، واقترح على طالب العلم الاطلاع على العلوم الأخرى ليحوز الطبقة العليا من التعليم، فهو يرى في هذه العلوم ما يصقل الأفكار ويصفي القرائح، ويزيد القلب سروراً والنفس انشراحاً، كالعلم الرياضي والطبيعي والهندسة والهيئة والطب.^(٦٣)

لقد كان شروعه في دراسة الأحاديث الضعيفة والموضوعة جزءاً لا يتجزأ من إصلاح التعليم وتنقية مضامينه، ولعله يرى- وهو يسعى إلى توحيد الأمة- في الأحاديث الموضوعة في فضل الصحابة سبباً من أسباب تفرق الأمة، ويذكر عدة فوائد لهذا العلم فيقول: "ليجتنبوه ويحذروا من العمل به، واعتقاد ما فيه وإرشاد الناس إليه كما وقع لكثير من المصنفين في الفقه والمتصدين للوعظ، والمشتغلين بالعبادة والمتعرضين للتصنيف في الزهد، فيكون لمن يبيّن هؤلاء ما هو كذب من السنة أجر من قام بالبيان الذي أوجبه الله مع ما في ذلك من تخليص عباد الله من معرة العمل بالكذب، وأخذة على أيدي المتعرضين لما ليس من شأنهم".^(٦٤)

٢. مسؤولية الدولة في الإصلاح وبناء النهضة:

لم ينفصم الشوكاني عن الأداة الأهم في تطبيق الشريعة وهي السياسة، وبهذا يكون له مزية على غيره من العلماء، فهو يتكلم من عمق التجربة التي خاضها بنفسه، وكان له تأثير واضح في رسم السياسات في الدولة القاسمية آنذاك. إن تعرضه للابتلاء تبعاً لمواقفه الإصلاحية، وجراته في قول الحق أكسبها مصداقية عالية في مشروعه الإصلاحي في هذا الجانب خاصة.

التكفير قضية خطيرة لا يجوز أن تخرج جزافاً، فيقول: "اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس." (٧٤)

ويرى الشوكاني أن الدولة إن قامت بصيانة الدين فهذا كفيل باحترام وجودها بوصفها جزءاً من الأمة الإسلامية، ولا ينبغي الاشتغال بالتصارع لبسط النفوذ والسيطرة عليها. ويتحدث الشوكاني عن المعارك التي كانت تدور بين غالب بن مساعد شريف مكة وصاحب نجد عبد العزيز بن سعود: "فإن صاحب نجد تبلغ عنه قوة عظيمة... ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام"، (٧٥) ويصف هذه الحرب بأنها لا فائدة منها، ويقول عن شريف مكة: "ولو ترك ذلك واشتغل بغيره لكان أولى له، فإن من حارب من لا يقوى لحربه جرّ إليه البلوى". (٧٦) ويتحدث الشوكاني وهو يصف الحرب التي كان دائرة بين الدولة القاسمية والشريف حمود أن مثل هذه الحروب التي تقع، فتتأخر عن قلة الاتصال بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم. (٧٧) ويمكن ملاحظة العاطفة الدينية الجياشة للشوكاني في

تناوله للأحداث الجارية في زمانه، خاصة الغزو الفرنسي لمصر، وهو يدي سروره لدحرهم من مصر آنذاك، فيقول: "فحينئذ بلغ ذلك الخير حضرة سلطان الإسلام أدحض الله بصوارم سطوته جنود اللغام، فجهز عليهم من أبطال الأجناد ما يعجز عن حصره جموع الأعداء، وسيّر عليهم من جيوش الإسلام ووزرائه العظام، وجعل مقدمهم الوزير الشهير الجزائر أحمد باشا بلغه الله من الخير ماشاً، فاجتمعت عليه طوائف العربان وتحشدت تحت رايته كافة أهل الإيمان، وهرع إلى جهادهم المسلمون من كل مكان، حتى أقطارنا الحرمية ظهرت منا للجهاد سبعة آلاف يردون في طاعة الله موارد الموت والإتلاف، ونرجو العظيم من فضله العليم أن يؤيد بالنصر أجناد الموحدين، ويبدد بالقهر شمل الكفرة للملحدين". (٧٨) وهذا يؤكد أن الشوكاني يؤمن بفكرة الأمة الإسلامية الواحدة التي نادى بها جمال الدين الأفغاني وغيره من المفكرين. ويرى موفق بني المرجه أن: الشوكانية إحدى الحركات الإسلامية التي عملت للدفاع عن الجامعة

المتعلقة بالسياسة، فهو يؤكد أن اختلاف المذاهب الإسلامية وتعدد الدويلات لا يخرجها عن دائرة الإسلام، فكلها حلقات داخلية في دائرة الإسلام.

ومع أن الشوكاني يبارك مشروع الدولة القاسمية وقاتلها للدولة العثمانية، (٧٩) إلا أنه بقي مؤمناً بفكرة الوحدة الإسلامية، ولعله يرى أن الخروج من كنف الخلافة العثمانية كان ضرورة ملحة لها مبررات شرعية آنذاك، لكنه يبارك الصلح والتوافق وحقق الدماء الذي حصل في عهد المتوكل، فيقول عن الحملة التركية، التي كادت تقضي على الدولة القاسمية آنذاك: "ثم كان من الألطاف الإلهية أنها وصلت كتب من الباشا محمد علي، ومن الباشا خليل، مؤذنة بالمصالحة وعدم التعدي إلى غير ما قد وصلوا إليه، وما زالت الرسل تختلف من الجهتين، وكانت المكاتبة والمراسلة بينهم وبين مولانا الإمام، حفظه الله تدور باطلاعي، حتى انتهت الأمر إلى إرجاع جميع البلاد التي كانت مع الشريف حمود وولده إلى الإمام فعادت كما كانت والله الحمد، بعد أن حصل اليأس عن جميع المملكة اليمنية، وهكذا تجرى الألطاف الربانية". (٨٠)

لقد كان همّ الشوكاني منصباً على توحيد الأمة الإسلامية، ولم تخرج دعوته لنبد التعصب والتقليد عن هذا السياق، ويمكن ملاحظة أن الحديث عن الأمة الإسلامية كان ضمن الحديث عن دار الكفر ودار الحرب، وجاء التحذير من التكفير بمجرد الوقوع في المعصية في سياق وحدة الأمة. (٨١)

والشوكاني يؤكد قضية أن الأمة الإسلامية يدخل في مُسمّاها كل من اعتقد كليات الإسلام، وأن الجزئيات لا تؤثر في أصل الإيمان، يقول الشوكاني: "فإن هذه المسائل التي اختلف فيها أهل الإسلام وكفر بعضهم بعضاً تعصباً وجرأة على الدين، وتأثيراً للأهوية، لو كان ظهورها في الدار مقتضياً لكونها دار الكفر لكانت الديار الإسلامية بأسرها ديار كفر، فإنها لا تخلو مدينة من المدائن ولا قرية من القرى من ذاهب إلى ما تذهب إليه الأشعرية أو المعتزلة أو الماتريدية، وقد اعتقدت كل طائفة من هذه الطوائف ما هو كفر تأويل عند الطائفة الأخرى، وكفاك من شر سماعه". (٨٢) ويؤكد أن

زمانهم.^(٨٣) إن نظرة متمعنة في سيرة الشوكاني وتراجم تلامذته والمؤلفات التي وضعها تؤكد أنه كان مدرسة تربوية ناضجة لها خصائصها وأدواتها.

أما تأثيره في الحالة الزيدية فكان قادراً على انتشار الدعوة الزيدية من الانحطاط الثقافي والسياسي المتمثل في ظاهرة التقليد والتشيع المذهبي أحد أدواء عصره،^(٨٤) والأهم في هذه التجربة الإصلاحية أنه بعث الأمل في نجاح فرص محتملة لمحاولات الإصلاح داخل المذاهب الإسلامية، والعودة إلى الكتاب والسنة بعيداً عن التعصب المذهبي والتقليد.

ولقد كان لمباشرة العمل السياسي أن أعطى دفعة قوية في حركة الإصلاح التي قام بها داخل المذهب الزيدي، ومنحته فرصة الاضطلاع بأدوار اجتماعية وثقافية،^(٨٥) فلم يعيش الشوكاني في انفصام عن الأداة الأهم في تطبيق الشريعة وهي السياسة، وبهذا يكون له مزية على غيره من العلماء، فهو يتكلم من عمق التجربة التي خاضها بنفسه، وكان له تأثير واضح في رسم السياسات في الدولة القاسمية آنذاك. إن تعرضه للابتلاء تبعاً لمواقفه الإصلاحية، وجرأته في قول الحق، أكسبها مصداقية عالية في مشروعه الإصلاحية في هذا الجانب خاصة.

لقد كان للشوكاني رسالة إصلاحية واضحة بالنصح للحكام والرعية ضمناً كنه، بعيداً عن المثاليات أو الوقوع في سطحية الأفكار، ولا شك في أن لهذه التجربة السياسية وما تركه من إرث كتابي في هذه الناحية تأثيراً في الساحة اليمنية بعد وفاته. ويرى موفق بني مرجة أنه بفضل تأثير الشوكانية المؤمنة بالجامعة الإسلامية أمكن لليمن الشمالي بزعماء الإمام يحيى أن يستمر بالولاء للدولة العثمانية حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى وزوال الخلافة العثمانية.^(٨٦)

ويرى عبد المتعال الصعيدي أن الشوكانية ما زالت مؤثرة في الساحة اليمنية السياسية، فأعاد الأمور إلى نصابها كلما استبدت السلطة الحاكمة،^(٨٧) وقد استفاد حزب التجمع اليمني للإصلاح من رؤية الشوكاني وخبرته في تحديد صياغة رؤية الحزب الفكرية، وفي تحديد مواقفه تجاه

الإسلامية، وبفضل تأثير الشوكانية أمكن لليمن الشمالي بزعماء الإمام يحيى أن يستمر على ولائه للدولة العثمانية حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى وزوال الخلافة العثمانية، وهو مظهر إيجابي يقدم الدليل على صدق الارتباط بشعار الخلافة الإسلامية.^(٨٩)

سادساً: مكانة المدرسة الشوكانية وتأثيرها

يتفق جُلُّ النقاد المعاصرين على أن الشوكاني أحد الأعلام الذين كان لهم بصمة واضحة في التاريخ الإسلامي،^(٩٠) ويرى محمود شاكر أن التاريخ الحقيقي لعصر النهضة يقع بين منتصف القرن الحادي عشر إلى منتصف القرن الثالث عشر، وعدّ الشوكاني من أبرز أعلام هذه الحقبة ضمن أربعة أعلام آخرين، ويرى أنه استحق ذلك لأنه: دعا إلى الاجتهاد وحرّم التقليد وحطّم الفرقة بالتصدي للعصبية.^(٩١)

لقد حاز الشوكاني هذه المنزلة المرموقة بما تركه من أثر واضح من الناحية الفكرية والعلمية تأصيلاً وتحريراً، فقد ترك تراثاً علمياً هائلاً في شتى العلوم، وترك بصمة واضحة في عملية التحولات الفكرية في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة، وترك إرثاً علمياً غادر بقوته الإطار الزمني والمكاني لوجوده. ولعل السبب يعود إلى جدية الطرح وحسن التحرير، فقد تحررت نتاجاته العلمية من التقليد، وأدّى هذا إلى قبوله خارج إطار المذهبية، وشهد لنزاهته العلمية المذاهب الإسلامية على اختلافها.

ويلخص الأهدل؛ أحد تلامذة الشوكاني بعبارة النتائج الفكرية للشوكاني؛ فيقول: "منح رب العالمين من بحر فضله الواسع هذا القاضي الإمام ثلاثة أمور لا أعلم أنها في هذا الزمان الأخير جمعت لغيره: الأول: سعة التبهر في العلوم على اختلاف أجناسها وأنواعها وأصنافها، الثاني: سعة التلاميذ المحققين والنبلاء المدققين أولي الأفهام الخارقة والفضائل الفاتقة، والثالث: سعة التأليف المحررة".^(٩٢)

ويمكن أن يقاس التأثير الفكري لعالم مثل الشوكاني بالنظر إلى تلامذته من حيث العدد والنوع، وهم كثر، فقد أحصى الشرجي اثنين وتسعين تلميذاً كانوا من أعيان

يتعلق بفكره ومواقفه السياسية. والأخطر في دراسة تراث العلماء ومنهم الشوكاني، محاولة بعضهم كسب الشوكاني في معسكره العقدي بعيداً عن تحقيق الهدف الافتراضي من هذه الدراسات، التي يفترض فيها تجلية جوانب الإبداع عند هؤلاء العلماء في صناعة النهضة والحفاظ على وجودية الإسلام كفلسفة وشريعة في حقبة زمنية حرجة، بل كان منهم أن اجتزأوا تراثه الفكري في مسائل جزئية كزيارة القبور والتوسل وغيرها من المسائل التي اغتالت شخصية هؤلاء العلماء، وأعادتهم إلى بوتقة المذهبية التي جاهد هؤلاء العلماء التنزه عنها، ومن هذه الإشكاليات:

١- موضوعية الإمام الشوكاني في مواقفه وكتاباته بعد اشتغاله بالسياسة:

يمكن أن توضح هذه الجدلية بهذا السؤال: هل كان الشوكاني في مؤلفاته -خاصة المتأخرة منها- يعبر عن وجهة نظرة المتجرده؟ أو كان لاخراطه في السلطة ما يجعله يحرر كتاباته مراعيًا طبيعة وظيفته الرسمية حتى لا تتضرر علاقة الدولة مع جيرانها أو مع العامة، أو أن تتضرر مكانته لدى السلطة الحاكمة؟ والموضوعية تقتضي التمييز بين أمرين الأول: أن ما حرره الشوكاني من رسائل رسمية تبعاً لوظيفته كمستشار سياسي لا يمكن أن نلزمه بها فكرياً إلا بقرائن. أما ما يتعلق بالمؤلفات التي وضعها في أثناء مشاركته السياسية فإنها تعبر بالضرورة عن أفكاره، ما لم يكن هناك قرينة تدل على خلافه. وثمة قرائن أضفت مصداقية عالية لكتابات الشوكاني يمكن ملاحظتها من خلال أمرين:

الأول: أن الشوكاني كان يقدم النصح الصريح لأصحاب السلطة، وهو بذلك خاطر مخاطرة حقيقية بوضعه السياسي عندما كان يتحدث عن الإصلاح بسقف عال، ويشخص أسباب المشكلات الاجتماعية والاقتصادية بأنها مرتبطة بفساد السلطة القائمة آنذاك.^(٩٠)

الثاني: أن الشوكاني تعرض جراء أفكاره التصحيحية لخطر العزل الشعبي والسياسي، وردود طويلة من بعض دعاة الزيدية والطامعين في استرضاء العوام، وشارك في التحريض عليه رجال من الحكم، وكان ذروهما عندما كتب رسالة في عدالة الصحابة مخالفاً فيها من طعن في عدالتهم،

العديد من القضايا؛ من أبرزها الاتصال بالحكام وطريقة إحداث التغيير السياسي من خلال العمل السياسي، والتدرج في إحداث هذا التغيير، وإيلاء الاهتمام بالإصلاح الاجتماعي والديني.^(٨٨)

ويرى الباحث أن تجربة الشوكاني السياسية لم تحظ بدراسة معمقة في ضوء علم المقاصد والسياسة الشرعية، خاصة أن الشوكاني ساهم في صناعة التغيير السياسي، ابتداء من رأس السلطة؛ منها مساهمته في تولي الإمام المتوكل على الله أحمد بن الإمام المنصور زمام الحكم من والده بالقوة، فكان أول من بايعه وتولى قبض البيعة له من إخوته وأعمامه وسائر آل الإمام القاسم وأعيان العلماء والرؤساء.^(٨٩)

إن تأثير الشوكاني آنذاك لم يكن مقصوراً على الحالة اليمنية، بل تعدى ذلك إلى بلدان قريبة وبعيدة، ابتداء من بلاد الحرمين إلى مصر والشام حتى بلغت الهند،^(٩٠) فقصده بالعلم لأخذ عنه من اليمن والهند وغيرها حتى طار صيته في جميع البلاد وانتفع بعلمه كثير من الناس.^(٩١)

لقد تخطى تأثير الشوكاني إلى الواقع المعاصر؛ إذ يرى عبد الكريم عبد الرحمن أن الشوكاني له دور أساسي في التأسيس للنهضة التي شهدتها العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي، بما طرحه من أفكار إصلاحية وبيانه لشروط النهضة ووضعه منهجية علمية للتفكير.^(٩٢) وترى فاطمة كروشة أن حركات الإصلاح في العصر الحديث استلهمت أفكاره.^(٩٣)

ويظهر تأثير الشيخ رشيد رضا بالشوكاني من خلال نقله المتكرر للفوائد المنتقاة من الشوكاني، ويرى رشيد رضا أن ابن تيمية وابن القيم وابن حجر والشوكاني أحد "أشهر أعلام المصلحين في الإسلام".

لقد حظيت مؤلفات الشوكاني بالقبول وسعة الانتشار، واحتلت مؤلفاته مكانة مرموقة في الدراسات العلمية في مختلف العلوم خاصة: في العقيدة،^(٩٤) والفقه،^(٩٥) وأصوله،^(٩٦) والتفسير،^(٩٧) والحديث،^(٩٨) والنحو والأدب،^(٩٩) والتربية،^(١٠٠) والسياسة.^(١٠١)

سابعاً: مسائل جدلية حول فكر الإمام الشوكاني
ثمة إشكاليات متصورة في دراسة فكر الشوكاني بما

من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة".^(١٠٦) لكنه لم يرض الأخبار التي تتحدث عن سفك الدماء، وهذا يؤكد موضوعيته فيقول: "ومن جملة ما يبلغنا عن صاحب نجد أنه يستحل سفك دم من لم يحضر الصلاة في جماعة، وهذا إن صح غير مناسب لقانون الشرع، نعم من ترك صلاة فلم يفعلها منفرداً ولا في جماعة فقد دلت أدلة صحيحة على كفره، وعورضت بأخرى، فلا حرج على من ذهب إلى القول بالكفر، إنما الشأن في استحلال دم من ترك الجماعة ولم يتركها منفرداً، وتبلغ أمور غير هذه الله أعلم بصحتها، وبعض الناس يزعم أنه يعتقد اعتقاد الخوارج وما أظن ذلك صحيحاً".^(١٠٧) إن انتقاد الشوكاني للأخبار التي تصله عن الحركة الوهابية لم تكن مرتبطة بالموافقة أو المخالفة في الفلسفة كما يريد أن يصوره من ينتصر لبعض المذاهب، فقد بارك مضامينها، وقد مرت الحركة الوهابية بمراجعات نفت عنها التشدد، لتكون حركة إصلاحية رائدة كان لها دورها في النهضة الإسلامية في العصر الحاضر.

ويبدو أن القضية لها أبعاد أخرى؛ فيرى الباحث صالح رمضان أن الشوكاني: كان يعارض المذهب الوهابي: "كحاكم؛ لأنه لا يؤمن بمذهب يُفرض بحد السيف، وأيّ مذهب لا تدافع الأدلة والحجة عنه، يجب أن يموت كما مات غيره"،^(١٠٨) لكن يبدو للباحث هنا أن القضية سياسية متعددة الاتجاهات منها: ما هو مرتبط بوجودية الدولة الإمامية، خاصة أن الفكر الزيدي يرى أن الإمامة ينبغي أن تكون في آل البيت، وتوسع الدولة الوهابية تجاه الدولة الزيدية القائمة يعني نهاية هذه الدولة. ومنها ما هو مرتبط بتقويم الشوكاني العام لمجريات توسع الحركة الوهابية وما أشيع عنها من تشدد، وتقويمه للوضع السياسي في العالم الإسلامي آنذاك، حتى سميت الدولة العثمانية بالرجل المريض، لضعفها، فقد خاضت صراعات خارجية مع قوى استعمارية تتمثل بفرنسا وروسيا وبريطانيا وغيرها من الدول، وصراعات داخلية وقبلية متعددة وكثر القتل والنهب وعم الجهل والتعصب،^(١٠٩) فهو يرى أن الأمة تعيش في حالة فتنة وشور^(١١٠) تتطلب التريث وتجعل أولويات المرحلة الإصلاح الفكرية والاجتماعي والسياسي، وأن

يقول الشوكاني عن هذه المحنة: "وظننت أن نقل إجماع أهل العلم يرفع عنهم العماية ويردهم عن طرق الغواية، فقاموا بأجمعهم وحرروا جوابات زيادة على عشرين رسالة مشتملة على الشتم والمعارضة بما لا ينفق إلا على بهيمة، واشتغلوا بتحرير ذلك وأشاعوه بين العامة، ولم يجدوا عند الخاصة إلا الموافقة تقية لشرهم وفراراً من معرهم، وزاد الشر وتفاقم حتى أبلغوا ذلك إلى أبواب الدولة والمخالطين للملك من الوزراء وغيرهم، وأبلغوه إلى مقام خليفة العصر حفظه الله، وعظم القضية عليه جماعة ممن يتصل به، فمنهم من يشير عليه بحسبي ومنهم من ينتصح له بإخراجه من مواطني، وهو ساكت لا يلتفت إلى شيء من ذلك، وقاية من الله".^(١١٣)

٢- موقف الشوكاني من الدعوة الوهابية:

تعدّ البداية الفعلية لظهور الدولة السعودية الأولى وتحول الحركة الوهابية نحو الانتشار السياسي عام ١١٥٧هـ، على إثر توقيع اتفاق الدرعية بين الشيخ محمد ابن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود أمير الدرعية.^(١١٤) وبدأت الدولة السعودية بالتوسع الجغرافي بين مدّ وجزرٍ إلى أن وصلت إلى تخوم الدولة القاسمية من جهة الشريف حمود، الذي كان والياً من قبل الإمام المنصور عام سنة ١٢١٧هـ؛ إذ استسلم ودخل في الدعوة النجدية وخرج عن الدولة الإمامية.^(١١٥)

يحاول بعضهم أن يقيي الشوكاني قريباً أو بعيداً عن تأييده للدعوة الوهابية كفلسفة، والصحيح أن الشوكاني امتدح هذه الدعوة، فهي توافق ما يدعو إليه من التوحيد ومحاربة الشرك، يقول الشوكاني: "وصل من صاحب نجد المذكور مجلدان لطيفان أرسل بهما إلى حضرة مولانا الإمام حفظه الله، أحدهما يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها في الإرشاد إلى إخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذي يفعله المعتقدون في القبور، وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنة، والمجلد الآخر يتضمن الرد على جماعة من المقصرين من فقهاء صنعاء وصعدة ذاكروه في مسائل متعلقة بأصول الدين وبجماعة من الصحابة فأجاب عليهم جوابات محررة مقررّة محققة، تدل على أن المجيب

عقوبة إنما صدرت بالتشاور مع عليّة القوم من المستشارين والوزراء.^(١١٤)

خاتمة:

إن دراسة المنجز الفكري للشوكاني وجهوده الإصلاحية وملاحم مشروعه للنهضة تؤكد أنه من أبرز أعلام التاريخ الإسلامي، الذين تركوا بصمة واضحة في التحولات الفكرية في القرن الثالث عشر للهجرة، وتعدى تأثيره الفكري إلى الواقع المعاصر. ومع أنه لم يستطع التحرر بالكامل من المسائل الجزئية في المذهب الزيدي إلا أن تجرده العلمي وتأكيده على كليات الإسلام جعله في عداد المجددين في التاريخ الإسلامي. وثمة نتائج كثيرة تبرز أهمية الشوكاني يمكن الإشارة إليها، منها:

١- أنه أعاد الثقة بالواقع المعاصر الذي عايشه، وبعث الأمل في الأمة في محاولة النهوض بها والرجوع إلى الإمام، وإعادة تصحيح العلاقة مع تراث الأمة بعد أن طمست ذهنية المقلدة معالم الإبداع من خلال فك الارتباط غير العلمي مع التراث، فهو يميز بين احترام هذا التراث وكفاءة الواقع في إحراز سبق في فهم النصوص، ولذلك نادى بفتح باب الاجتهاد والدعوة إلى التجديد في مناهج الفقه الإسلامي.

٢- أنه ترك ملاحم مشروع إصلاحه اتسم بالشمولية في محاولته لفهم واقع الأمة والنهوض بها من وحي الواقع الذي عايشه، والمشكلات التي تعيشها الأمة آنذاك، ومن ثم محاولة بناء الحلول في جوانب مختلفة من العقيدة والفقه والتربية والتعليم والسياسة. وحددت هذه الشمولية وظيفة الدولة والتعليم في إحداث التغيير الاجتماعي والاقتصادي، والسعي لنهضة الأمة.

٣- لم يعيش الشوكاني حالة انفصام عن الأداة الأهم في تطبيق الشريعة، ولم يقتصر في تجربته الإصلاحية على الجانب النظري بل عاش مرحلة التنظير والتطبيق معاً، وأدرك أهمية العمل السياسي في إصلاح المجتمع

الحروب لن تساهم في إحداث هذا الإصلاح. ويمكن استنتاج إيمانه بوجودية الدولة الزيدية وأولويات الإصلاح، مقابل التوسع السياسي في مقدمة كتابه (الدواء العاجل) الذي وضعه ليعرض برنامجه الإصلاحي للسلطة، بعدما انقلب الشريف حمود، وصالح الدولة النجدية، وخرج عن الدولة الإمامية، فهو يقول: "فبهذا يدفع الله الشرور عن البلاد والعباد، ويجول بينهم وبين من قد صار في بعض أطرافها من الطوائف التي تقاتل عباد الله مقاتلة أهل الشرك المحقق، بل يتجاوزون ذلك إلى ما لا يبيحه الشرع، كما بلغنا أنهم يقتلون النساء الحوامل والصبيان، ويشقون بطون الحوامل، فإن الشارع صلى الله عليه وسلم نهى عن مثل هذا وزجر عنه، ولم يحل للمسلمين أن يقتلوا صبيان المشركين وعجائزهم ونساءهم".^(١١١)

٣- استخدامه السلطة في محاربة خصومه:

مر سابقاً أن الشوكاني تعرض لخطر العزل السياسي والشعبي نتيجة تمسكه بآرائه الإصلاحية في المذهب الزيدي، ومنها مسألة عدالة الصحابة، وقد انبرى عدد من الزيدية للرد عليه وأغروا العامة عليهم، ومن هؤلاء إسماعيل النعمي ويحيى بن محمد الحوثي، فأشار على الوالي بحبسهم. يقول الشوكاني في ذلك: "فصمم مولانا حفظه الله على حبس من ذكر، ثم أشرت عليه حفظه الله أن يتبع من وقع منه الرجم ومن فعل تلك الأفاعيل، فوقع البحث الكلي منه ومن خواصه، فمن تبين أنه منهم أودع الحبس والقيد، وما زال البحث بقية شهر رمضان حتى حصل في الحبس جماعة كثيرة".^(١١٢)

ويرى عبد العزيز قائد: إن إطلاق يد الشوكاني غير مقصودة بذاتها، إنما خوضه الصراع ضد المعارضة نيابة عن الدولة،^(١١٣) لكن الإنصاف يقتضي القول إن السلطة لم تنكّل بهؤلاء لأنهم خالفوا معتقد الشوكاني، وإنما لأنهم يشكلون خطراً على جودة الدولة واستقرارها، فقد سعوا في التخريب ومحاولة قتل بعض العلماء ومنهم الشوكاني، والاعتداء على بيوت بعض الوزراء، والحكم بالسجن

والأمة، لأنه كان في موضع التنفيذ وهو يمارس أعمال السياسة، وبالتالي منحه ذلك فرصة اختبار هذه الفلسفات.

٤- كانت الذهنية التوفيقية إحدى الموجهات المركزية للشوكاني، فكانت الدعوة للتوفيق بين ما هو متصور اختلافه في الاتجاهات الفقهية والمذاهب الإسلامية والدعوة إلى الانفتاح على التراث الفقهي للأمة. ويتفق الباحث مع حليلة كروشة بوجود ثغرات في نظرية الشوكاني في التجديد الفقهي فيما يتعلق بالمحددات العلمية بالنسبة للعوام، لفقدانهم آليات الاجتهاد، ووجود ثغرة لا يستلزمها جهد الشوكاني التجديدي في الإفراط في التمسك الظاهري بالنص، على حساب مقاصد الشريعة الإسلامية.^(١١٥)

ويرى الباحث أن تراث الشوكاني يحتاج إلى عناية أكبر، خاصة أن جل تراثه الكتابي ما زال مخطوطاً، وضرورة التوجه نحو دراسات نقدية معمقة لتجربته الإصلاحية في ضوء علم المقاصد والسياسة الشرعية، والتمييز بين ما كان أصيلاً في فكر الشوكاني وما كان مرتبطاً بردات فعل فكرية أو سياسية، وضرورة دراسة ظاهرة الشوكاني بعيداً عن الذهنية المسبقة في إطارها الزماني والمكاني، وعدم التعصب لفكر الشوكاني حتى لا نعيده إلى بوتقة المذهبية التي سعى جاهداً كغيره من المجددين لتحرير الأمة منها، وتحلية جوانب الإبداع عند هؤلاء العلماء في صناعة النهضة والحفاظ على وجودية الإسلام كفلسفة وشرعية.

المراجع

- (١) الشوكاني، محمد بن علي. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت: دار المعرفة، ج ٢، ص ٢١٤. انظر أيضاً: - خان، محمد صديق. التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، الهند: المطبع الصديقي، ١٢٩٨هـ، ص ٣٠٥.
- (٢) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٧٨.
- (٣) المرجع السابق، ج ١، ص ٤٨٤.
- (٤) الشوكاني، محمد بن علي. السيل الجرار المتدفق على حائق الأزهار، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ، ج ١، ص ١٧.
- (٥) بو كروشة، حليلة. معالم تجديد المنهج الفقهي: أغودج الشوكاني، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٢م، ط ١، ص ٧٩.
- (٦) الشوكاني، محمد بن علي. أدب الطلب ومنتهى الأدب، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، بيروت: دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج ١، ص ٣٥.
- (٧) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٨٤.
- (٨) المرجع السابق، ج ١، ص ٤٨١.
- (٩) المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٥.
- (١٠) المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٩.
- (١١) المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٧.
- (١٢) محيسن، محمد سالم. معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج ٢، ص ٣٩٧.
- (١٣) المرجع السابق، ج ١، ص ٤٨١.
- (١٤) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٢٤.
- (١٥) المرجع السابق، الصفحة نفسها.
- (١٦) انظر مشاركة الشوكاني في السياسة في: - العمري، حسين عبد الله. الإمام الشوكاني رائد عصره، بيروت: دار الفكر المعاصر، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٨٧-٩٤.
- (١٧) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج ١، ص ٧٨.
- (١٨) المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٧-٢١٨.
- (١٩) المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٥.
- (٢١) نومسوك، عبد الله. منهج الإمام الشوكاني في العقيدة، بيروت: مكتبة دار القلم والكتاب، ١٩٩٤، ط ١، ١٤١٤هـ، ص ٩٣.
- (٢١) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٦.
- (٢٢) الشراجي، عبد الغني قاسم. الإمام الشوكاني: حياته وفكره، بيروت: دار الفكر، ص ٢٧٣.
- (٢٣) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٧٩.
- (٢٤) الدسوقي، محمد. الإمام الشوكاني فقيهاً ومحدثاً: من خلال كتابه نيل الأوطار، مجلة مركز بحوث السيرة، عدد ٢، ١٩٨٧م، ص ٤٦٠.
- (٢٥) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٠.
- (٢٦) الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الأدب، مرجع سابق، ص ٢١، ٢٥.
- (٢٧) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٤.
- (٢٨) المرجع السابق، ج ٢، ص ٧.
- (٢٩) الصعدي، عبد المتعال. المجددون في الإسلام، مصر: مكتبة الآداب ومطبعاتها، د.ت، ص ٤٧٢.
- (٣٠) المرجع السابق، ص ٤٧٣.
- (٣١) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٦.
- (٣٢) المرجع السابق، ج ١، ص ٤٨١.
- (٣٣) المرجع السابق، ج ١، ص ٧٨.
- (٣٤) الشوكاني، محمد بن علي. الدواء العاجل في دفع العدو الصائل، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ضمن مجموعة رسائل، ١٤١٠هـ، ص ٥١-٥٢.
- (٣٥) الشراجي، الإمام الشوكاني: حياته وفكره، مرجع سابق، ص ٢٢٩.
- (٣٦) الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠م، ج ١، ص ١٢.
- (٣٧) الذهبي، محمد حسين. التفسير والمفسرون، القاهرة: مكتبة وهبة، ط ٧، ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٢١١-٢٢٠.

- (٣٨) الشوكاني، محمد بن علي. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، بيروت: دار الجيل، ١٩٧٣م، ج ١، ص ١٤.
- (٣٩) انظر: الخطيب، خالد أحمد. "الشوكاني ومنهجه في كتاب نيل الأوطار"، (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٩٩٠م).
- (٤٠) العمري، الإمام الشوكاني رائد عصره، مرجع سابق، ص ١٦٦-١٦٨.
- (٤١) انظر: بو كروشة، معالم تجديد المنهج الفقهي: أنموذج الشوكاني، مرجع سابق، ص ١٠٥ وما بعدها.
- (٤٢) السريحي، في مقدمة تحقيقه في:
- الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الأدب، مرجع سابق، ص ٥.
- (٤٣) انظر معالم النظرية التربوية عند الشوكاني في:
- مقل، صالح محمد. محمد بن علي الشوكاني وجهوده التربوية، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٩م..
- (٤٤) الشوكاني، الدواء العاجل في دفع العدو الصائل، مرجع سابق، ص ٥٥.
- (٤٥) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج ١، ص ٢.
- (٤٦) الشوكاني، محمد بن علي. قطر الولي على حديث الولي أو ولاية الله والطريق إليها، تحقيق: إبراهيم إبراهيم هلال، القاهرة: دار الكتب الحديثية، ط ١، ١٩٧٩.
- (٤٧) الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الأدب، مرجع سابق، ص ٨٨.
- (٤٨) الشوكاني، محمد بن علي. إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق: محمد سعيد البدري، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٩٩٢م، ص ٤٢٤.
- (٤٩) السيلن، إبراهيم عمر. "الموجهات المركزية لعلامة اليمن: خطاب الإمام الشوكاني"، مجلة المعرفة، وزارة التربية والتعليم السعودية، عدد ٧٦٤، ٢٠٠٩م، ص ٨٨.
- (٥٠) الشوكاني، السيل الجرار المتدفق على حائق الأزهار، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٦.
- (٥١) المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠٥.
- (٥٢) أحمد، سعيد إبراهيم سيد. "الإمام الشوكاني وآراؤه الاعتقادية في الإلهيات بين السلف والزيدية"، (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ)، ص ٧٨-١١٩.
- (٥٣) انظر: الشوكاني، محمد بن علي. إرشاد الغي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي، تحقيق: مشهور حسن سلمان، بيروت، دار المنار، ١٩٩٢.
- (٥٤) أحمد، الإمام الشوكاني وآراؤه الاعتقادية في الإلهيات بين السلف والزيدية، مرجع سابق، ص ٢٦٥-٣١٤.
- (٥٥) الشوكاني، محمد بن علي. الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد، تحقيق: محمد صبحي حسن الحلاق، صنعاء: دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٢٩.
- (٥٦) الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الأدب، مرجع سابق، ص ٩٧.
- (٥٧) المرجع السابق، ص ٣٦-٤١.
- (٥٨) بو كروشة، معالم تجديد المنهج الفقهي: أنموذج الشوكاني، مرجع سابق، ص ١٠٥ بتصرف.
- (٥٩) الشوكاني، الدواء العاجل في دفع العدو الصائل، مرجع سابق، ص ٥٣، ٦٣.
- (٦٠) الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الأدب، مرجع سابق.
- (٦١) ألف الشوكاني عدة كتب في العقيدة منها:
- الشوكاني، محمد بن علي. التحف في مذاهب السلف، تحقيق: طارق السعود، بيروت: دار الهجرة، ط ٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- نومسوك، منهج الإمام الشوكاني في العقيدة، مرجع سابق.
- (٦٢) انظر الفكر التربوي عند الشوكاني في:
- مقل، صالح بن محمد. "محمد بن علي الشوكاني وجهوده التربوية"، (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ).
- (٦٣) الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الأدب، مرجع سابق، ص ٢٠٧.
- (٦٤) الشوكاني، محمد بن علي. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٩٨٧م، ص ٣.
- (٦٥) الشوكاني، السيل الجرار المتدفق على حائق الأزهار، مرجع سابق، ص ٥٠٣.
- (٦٦) الشوكاني، محمد بن علي. عقد الجمان في شأن حدود البلدان، (مخطوط)، ص ١٥١-١٥٢، نقلاً عن: الشراجي، الإمام الشوكاني حياته وفكره، مرجع سابق، ص ٣٥٨-٣٦٠.
- (٦٧) الشوكاني، محمد بن علي. رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلطين، (مخطوط)، ص ٢٩، نقلاً عن: الشراجي، الإمام الشوكاني حياته وفكره، مرجع سابق، ص ٣٦٣.
- (٦٨) الشوكاني، الدواء العاجل في دفع العدو الصائل، مرجع سابق، ص ٦٣.
- (٦٩) المرجع السابق، ص ٦٤، ٦٥.

- (٧٠) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج٢، ص٤٩.
- (٧١) المرجع السابق، ج٢، ص٢٩٧.
- (٧٢) الشوكاني، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، ج٨، ص١٧٩.
- (٧٣) الشوكاني، السيل الجرار المتدفق على حائق الأزهار، مرجع سابق، ج٤، ص٥٧٦.
- (٧٤) المرجع السابق، ج٤، ص٥٧٨.
- (٧٥) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج٢، ص٥.
- (٧٦) المرجع السابق، ج٢، ص٥.
- (٧٧) الشوكاني، محمد بن علي. ذكريات الشوكاني، تحقيق: صالح رمضان محمد، بيروت: دار العودة، ١٩٨٣، ص١٥٧-١٥٨.
- (٧٨) المرجع السابق، ج٢، ص١٦.
- (٧٩) بني المرجة، موفق. صحة الرجل المريض أو: (السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية)، الكويت: مؤسسة صقر الخليج للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، ص٣٥٩.
- (٨٠) الصعدي، المجددون في الإسلام، مرجع سابق، ص٤٧٢-٤٨٥.
- (٨١) شاكر، محمود. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، القاهرة: دار الهلال، سلسلة كتاب الهلال، عدد ٤٨٩، ١٩٩١م، ص١١٨-١٢٢، انظر أيضاً:
- الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الأدب، مرجع سابق، ص١٧.
- (٨٢) ابن الأهدل، عبد الرحمن بن سليمان. النفس البماني في إجازة القضاة بني الشوكاني، صنعاء: مركز الدراسات والبحث اليمنية، ١٩٧٩م، ص١٧٧.
- (٨٣) الشراجي، الإمام الشوكاني: حياته وفكره، مرجع سابق، ص٢٣٧-٢٦٦.
- (٨٤) المسعودي، عبد العزيز قائد. الشوكانية الوهابية: تيار مستجد في الفكر العربي الحديث، القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٦م، ص٢٩٨.
- (٨٥) المرجع السابق، ص٢٩٨.
- (٨٦) بني المرجة، صحة الرجل المريض، مرجع سابق، ص٣٥٩.
- (٨٧) المسعودي، الشوكانية الوهابية: تيار مستجد في الفكر العربي الحديث، مرجع سابق، ص٣١٠.
- (٨٨) غليس، أشواق أحمد مهدي. "فكر الشوكاني السياسي وأثره المعاصر في اليمن"، (رسالة دكتوراه، جامعة النيلين، السودان، ٢٠٠٤م)، من الملخص المنشور على الموقع الإلكتروني للمركز الوطني للمعلومات، اليمن.
- (٨٩) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج١، ص٧٨.
- (٩٠) خان، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، مرجع سابق، ص٣٠٥.
- (٩١) الصعدي، المجددون في الإسلام، مرجع سابق، ص٤٧٢.
- (٩٢) انظر:
- علي، عبد الكريم عبد الرحمن. "دور الفكر التربوي للشوكاني والطهطاوي في التأسيس للنهضة و التنوير خلال القرن التاسع عشر"، (رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م)، ص١١٨-١٦٥.
- (٩٣) بوكروشة، معالم تجديد المنهج الفقهي، ص١٩٥.
- (٩٤) انظر:
- نومسوك، منهج الإمام الشوكاني في العقيدة، مرجع سابق
- سعيد إبراهيم، الإمام الشوكاني وآراؤه الاعتقادية في الإلهيات بين السلف والزبدة، مرجع سابق.
- (٩٥) انظر: أبو سيف، سمير حسني حسين. "الإمام الشوكاني ومنهجه في الفقه الاسلامي"، من خلال كتابه: «السليل الجرار المتدفق على حقائق الأزهار»، (رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، ١٩٩٧م).
- (٩٦) انظر: محمد، عبد الباسط عبده ردمان. "الإمام الشوكاني: اختياراته الأصولية وتطبيقاتها الفقهية"، (رسالة جامعية، جامعة دمشق، ٢٠٠٩م).
- (٩٧) انظر: الغماري، محمد حسن. الإمام الشوكاني مفسراً، جدة: دار الشروق، ١٩٨١م.
- (٩٨) انظر: الدسوقي، الإمام الشوكاني فقيهاً ومحدثاً: من خلال كتابه نيل الأوطار، مرجع سابق، ص٤٦١.
- (٩٩) انظر: القرينات، ماجد شتيوي دخیل الله. "الإمام الشوكاني نحوياً من خلال تفسيره فتح القدير"، (رسالة دكتوراه، الجامعة الاردنية، ٢٠٠٩م).
- (١٠٠) انظر:
- علي، دور الفكر التربوي للشوكاني والطهطاوي في التأسيس للنهضة و التنوير خلال القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص١١٨-١٦٥.

- (١٠١) انظر: محمد، محمد علي محمد. "الفكر السياسي عند الإمام الشوكاني: دراسة مقارنة"، (رسالة جامعية، جامعة القاهرة، ١٩٨٠)
- (١٠٢) الشوكاني، الدواء العاجل في دفع العدو الصائل، مرجع سابق، ص ٥٤.
- (١٠٣) الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الأدب، مرجع سابق، ص ٤٩.
- (١٠٤) أبو علي، عبد الفتاح حسن. محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى، الرياض: دار المريخ، ط ٢، ١٩٩١م، ص ١٩.
- (١٠٥) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٤٠.
- (١٠٦) المرجع السابق، ج ٢، ص ٧.
- (١٠٧) المرجع السابق، ج ٢، ص ٦.
- (١٠٨) الشوكاني، ذكريات الشوكاني، مرجع سابق، (المقدمة) ص ١٠، ١١.
- (١٠٩) انظر الوضع السياسي آنذاك في:
- الشراحي، الإمام الشوكاني: حياته وفكره، مرجع سابق، ص ٧٢-٧٤.
- (١١٠) الشوكاني، الدواء العاجل في دفع العدو الصائل، مرجع سابق، المقدمة، ص ٥١-٥٢.
- (١١١) المرجع السابق، ص ٦٤.
- (١١٢) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٤٨.
- (١١٣) المسعودي، الشوكانية الوهابية: تيار مستجد في الفكر العربي الحديث، مرجع سابق، ص ٢٩٧.
- (١١٤) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٠٥، ٢٤٦-٢٤٨.
- (١١٥) انظر تقييم منهج التجديد الفقهي عند الشوكاني في:
- بوكروشة، معالم تجديد المنهج الفقهي: أمثودج الشوكاني، مرجع سابق، ص ١٩٢ وما بعدها.